

## ملخص محاضرة: في التأريخ لتاريخ الصحابة

الأستاذ محمد حمزة / سوسة

نستقرئ في هذه المداخلة المدونة التراثية المتصلة بتاريخ الصحابة لفهم الكيفيات التي تمت بواسطتها كتابة تاريخ الصحابة، ونحن نستحضر أمورا ثلاثة: الأول قيمة دراسة تاريخ الصحابة ومآتها أن الصحابة كانوا النواة الأولى لتوثيق تاريخ المسلمين وتاريخ الدعوة المحمدية، فكانوا كاتبين لتاريخ الرسالة وتاريخ المصحف وتاريخهم هم كذوات بشرية، ومثلت شهاداتهم القولية في هذا الاتجاه لبنة أولى للكتابات التاريخية التي أرّخت لحقبة الإسلام المبكر والأمر الثاني أن القدامي قد أجروا تأريخهم لتاريخ الصحابة وفق المقتضيات التي أخضع لها الإخباريون الكتابة التاريخية ومدارها التناقل الشفوي وتصحيح الخبر بتصحيح سنده. فكان التأريخ لحياة الصحابة مدينا للرويات المنسوبة إما للنبي أو لصحابته الذين كانوا شاهدين على النبي وعلى ذواتهم وعلى عصرهم الأمر الثالث أن التأريخ لتاريخ الصحابة خضع لتجاوزات شتى بعضها عقدي / مذهبي وبعضها اجتماعي / سياسي، وكان مرتعنا باعتبارات عدة أهمها:

- أ- المفهوم المخصوص الذي تشكّل للصحابة مع اتساع مفهوم الصحبة حتى صار شاملا لعدد كبير من عاصر النبي في حياته ولمن رآه مرة واحدة أو جاء لبياعه فوجده مسجى بل وحتى للأطفال ولمن ولد يوم وفاة النبي .
- ب- الصورة التي أراد الفاعلون الاجتماعيون صوغها لتاريخهم وهي صورة بعدية أسهمت في بناء قراءة تأويلية لما حدث في ماضي المسلمين وخصوصا لما حدث في القرن الأول للهجرة من صراع سياسي .

ج- الحاجات الإيديولوجية التي عبرت عنها الكتابة التاريخية القديمة في سياق الصراع المذهبي خصوصا مع أحداث الفتنة وانقسام المسلمين إلى سنة / شيعة / خوارج وفد تكفل الإخباريون بجعل المادة التاريخية تسند هذا الصراع في اتجاهات متقابلة .

وسنطرح في ورقتنا العلمية الإشكاليات التالية:

- هل يمكن الحديث عن تاريخ واحد للصحابة أم هذا التاريخ لا يعدو أن يكون قراءة أو تمثلا لهذا التاريخ أو لما يمكن أن يكون قد حدث فعلا، / التاريخ بهذا المعنى وجهة نظر، هي موقف يخضع لرؤية قبلية عقديّة / سياسية / اجتماعية نفسية )
- هل كان التأريخ لحياة الصحابة وفيّا للمقتضيات التي تفرضها الكتابة التاريخية الصارمة أم أنه كان مندرجا ضمن الحدود الاستيمية التي كان المسلمون يفكرون في نطاقها؟
- ما طبيعة التعامل مع الشهادات التي نقلها الصحابة عن تاريخ الدعوة المحمدية وكيف تمّ استغلالها ودمجها ضمن الكتابة التاريخية وصارت ركيزة أساسية فيها، وما طبيعة الوظائف التي تولت الكتابة التاريخية عن حياة الصحابة القيام بها لدى المتقبل: إضفاء القداسة / التشريع لمقالة ما . .
- ما مكونات المادة التي اهتمت بتاريخ الصحابة وسنركّز على مكوتين - على وعينا بالتقاطع بينهما - المكوّن الأول مادة الموضوعات أي الأخبار المنحولة لفهم كيف أثّرت الموضوعات تاريخ الصحابة وهي أخبار احوج إليها بناء صورة مثالية عن الفئة التي صحبت النبي، والمكوّن الثاني مادة فضائل الصحابة وقد صارت بدورها مركزية في كتب الحديث كما في كتب التاريخ، وأسهمت هذه المادة في جعل التأريخ للصحابة يمتح من متخيل اجتماعي وسياسي ثري أتاح بناء صورة مخصصة للصحابة تقوم على التقديس والإعلاء .

• ما طبيعة الكتابة التاريخية في شأن الصحابة في العصر الحديث وما خصائصها ومركزاتها ومرجعياتها؟ وهل يمكن للدارس أن يقف على تجديد في الدراسات الحديثة التي أرخت لحياة الصحابة في مستوى الطرح والمنهج والمقاربة خصوصا والدارس يقف عند اتجاهات شتى :

- اتجاه أول في الكتابة التاريخية عن الصحابة تمجيدية تغلب عليها الرؤية الأيديولوجية وتوظف التاريخ لبناء صورة متعالية عن السلف وتسعى إلى توظيف تاريخ الصحابة لخدمة مشروعها السلفي ( خالد محمد خالد / سعيد الأفغاني / مصطفى السباعي / محمد عجاج الخطيب .. )
- اتجاه ثان يسعى من منظور نقدي تقليدي إلى تقديم مراجعات لهذا التاريخ، ولكن تبقى نزعة تنزيه السلف والصحابة تدقيقا هي الموجهة لمنهج التأريخ وللنتائج التي يتم الخلوص إليها ( محمد عبده / محمد رشيد رضا / / شرف الدين العاملي ... )
- اتجاه ثالث في الكتابات التاريخية مثلت بداية استيعاب للمقتضيات التاريخية الحديثة على بعض القصور في التطبيق الصارم لها ( طه حسين / أحمد أمين / محمود أبو رية .. )
- اتجاه رابع نهض على كتابة تاريخية رصينة تحاول الالتزام بمقتضيات منهجية جديدة لإعادة كتابة السيرة النبوية وتاريخ الإسلام المبكر ( هشام جعيط : الفتنة / تاريخية الدعوة المحمدية ) وبدرجة أقل محمد عابد الجابري : العقل السياسي العربي )

• ما آفاق إعادة كتابة تاريخ الصحابة ونزع الأسطورة عنه في نطاق مشروع إعادة قراءة مجتمع الدعوة سواء في مستوى علاقة الصحابة بالنبي أو في نطاق بحث هذه الذوات عن موقع لها وما مدى استعداد الفكر الإسلامي لتقبل النتائج التي قد تستتبع إجراء مثل هذه القراءة على مجتمع الصحابة وعلى تاريخ المصحف وعلى حجية الحديث النبوي؟